محاضـــــرة

"أبعاد الشخصية الإسلامية المعاصرة بين الواقع والمأمـــــول"

الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب–أستاذ أصول التربية–تربية سوهاج

تقديم الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن النقيب

يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/٥/٢٠

بقاعة رواق المعرفة – مركز الدراسات المعرفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحاضـــــرة

أ.د. مصطفى رجب

يستطيع القارئ المدقق لتاريخ الأمة الإسلامية أن يحكم بسهولة على الحقبة الـتي يعيشها المسلمون حالياً، بأنها حقبة تتسم بالضعف المخزي، والتخاذل المريـر، والهوان الذي قلّما مرت به الأمة على مدى تاريخها الطويل. فقد ذاقت الأمة مرارات الهزيمـة العسكرية مرارًا، ولكنها لم تبلغ الحد الذي بلغته الآن من الشعور بالضياع والإحبـاط والقهر، باستثناء مرات قليلة معروفة في تاريخها. وإذا كان جوهر الإسلام – ممـثلاً في نصوصه وثوابته العقائدية والتشريعية – لا يتغير وفقاً لظروف انتصار أو هزيمـة، فـإن الشيء الذي تغير لا يتعدّى أولئك المسلمين الذين يتبعون هذا الدين، فيأخـذون منـه ويتركون، وفق أهوائهم لا وفق ما أراد الله تعالى منهم. وهم في أخذهم وتركهم وفـق أهوائهم يتأوّلون النصوص ويطوعونها ليتخذوا منها ساترًا لرغباتهم، وغطاءً لتزهـاتهم، فإذا ردَّهم أحد إلى الحق رموه بالمروق والشذوذ والإرهاب وإثارة الفتن، ولنسـتمع إلى القرآن الكريم وهو يشخّص لنا حالة فئة من الناس فيقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّـذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَـى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا(٦٠)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَـافِقِينَ يَصُـدُّونَ عَنْـكَ صُدُودًا(٦١)فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا(٦٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَـوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّـهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(٦٤)فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥)وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (النساء/ ٦٠-٦٥).

ولنسأل أنفسنا الآن: هل لهذه الفئة وجود في أمة المسلمين اليوم؟ وكم يبلغ عددهم أو كم تبلغ نسبتهم؟ ومن المسئول – الآن – عن إصلاح حالهم بأن يعظهم، وأن يقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً؟ ثم ما أثر لغة هذه الآيات (يريدون – يريد الشيطان – إن أردنا – في أنفسهم) في بناء دلالاتها التشريعية والتربوية؟

إن تكرار تعبير (في أنفسهم) مرةً عند الأمر بإصلاح أحوالهم، ومرة عند التعقيب على إظهارهم قبول حكم الشرع، فيه دلالة على أن الإسلام يولي النفس الإنسانية اهتماماً كبيراً، ويراها – في جميع أحوالها – مناط المسؤولية، ومصدر السلوك، والأولى بالإصلاح.

وهل الشخصية الإسلامية – فردية كانت أم جماعية – إلا النفس المسلمة أو مجموعة النفوس المسلمة؟ لذلك يحسن بنا، ونحن في سبيل تناول الشخصية الإسلامية أن نمهِّد لهذا التناول، لا بالإغراق في تفاصيل تعريفات لا طائل من ورائها، ولا بالإسراف في تحديد مفاهيم كلمة (أبعاد) التي وردت في عنوان هذه المحاضرة، فذلك ترف أو سرف لا حاجة إليه فيما نعتقد. ولندخل مباشرةً إلى موضوع المحاضرة أو "مربط الفرس" كما يقول العرب.

وذلك أن الأمة الإسلامية لا تنطبق عليها في عصرنا هذا حالة الروم حين هزموا اليونان وانتصروا عليهم واحتلوا أثينا، لكن ثقافة اليونان وعلمهم وحضارتهم بهرت الروم، فانكبوا عليها نقلاً وهضماً وترجمة وتقليداً وتأثرًا، حتى صارت آداب روما وفنونها وفلسفتها ونقدها صورة شوهاء من آداب الإغريق وفنونهم وفلسفتهم ونقدهم. ولم تتحقق فيهم نظرية ابن خلدون الشهيرة "إن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب !

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فقد قلد الرومان المنتصرون الإغريق المهزومين وعاشوا قروناً ثلاثة أو أكثر وهم على هذه الحال.

والأمة الإسلامية الآن مولعة بتقليد الغرب، ولكنها لم تنتصر عليه انتصاراً عسكرياً كما فعلت الروم، بل انهزمت أمامه هزائم عسكرية متتالية في كل صِقْع من أصقاعها حين خضعت للاستعمار سنوات طوالاً، حتى إذا خرج وخلفها أمة مهزومةً من الداخل، أمة تشعر بالهوان والدونية والانسحاق والتبعية وانعدام الوزن ونجح الاستعمار في أن يصنع له في بلدان المسلمين صنائع من رجالٍ خونة، تولوا تكملة رسالة المستعمرين في الإذلال والقهر النفسي للأمة، ووضع هؤلاء الخونة على رأس مؤسسات الدول الإسلامية في مجالين رؤى أنهما من أخطر المجالات وهما: الإعلام والتعليم، لأنهما المجالان اللذان يوكل إليهما أمر النشء من جهة، وأمر الرأي العام من جهة ثانية.

وقد نهضت هاتان المؤسستان - الإعلام والتعليم - بما أنيط بهما شرَّ النهوض، فباعدت المؤسسات التعليمية بين الشاب المسلم وبين دينه على خير ما يرجو المستعمر، وابتدعت لنفسها ديمقراطية شديدة الشذوذ فهي تفرض على المتعلم زيًّا وطعاماً وشراباً ونظاماً للوقوف والجلوس والكلام والسكوت والحركة على نحو صارم لا مجال فيه للحرية أو التعبير عن الرأي. وهي حين ترسم الرسوم، وتمنهج المناهج وتحدد طرائق التدريس وأوقاته وحين تحدد الغياب والحضور والنجاح والرسوم وما يلزم للنجاح من درجاتٍ وما يلزم للمتعثرين من إصلاح، لا تعود في ذلك كله إلى المعلم ولا إلى المتعلم إلا إذا قيل لها: "عودي" ! فتعود معا غرةً مكرهةً مفرِّغةً لهذه العودة من كل مضمون !! ثم هي تسعى سعيا حثيثًا إلى التبرؤ من كل ما له صلة صريحة بالإسلام.

وفي الجهة الثانية، وعلى التوازي مع مؤسسات التعليم، تسعى المؤسسات الإعلامية إلى تغريب ثقافة المجتمع، فهي تبث من الأفلام ما تفرق به بين المرء وزوجه، وبين الابن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأبيه، والأخ وأخيه، فتزين الأفلام من الشر ما قبحه الإسلام، وتهيئ من الانحراف ما يكون مدعاة للتقليد، وتهوِّن من جرائم الزنا والقذف والغيبة والقتل والإدمان والرشوة والاختلاس حتى صارت كل تلك الجرائم مما لا يقشعر له بدن مشاهد، ولا تهتز له نفس سامع فشاعت الفواحش وذاعت. ولم تقف مؤسسات الإعلام عند حدود الأفلام والمسرحيات والمسلسلات، بل إن الأغاني جميعاً صارت وسائل لتيسير تواصل العشّاق فكأن مهمتها أن تلقّنهم ما يقول بعضهم إلى بعض إذا خلوا أو إذا التقوا. وإضافةً إلى ذلك توسَّع الإعلام في نشر فنون الرسم الخليع، والرقص تحت مسمى الفن حتى كتبت "أخبار اليوم" ذات مرة في السبعينيات على لسان راقصةٍ هلكتْ قولها إنها ترى أنَّ "الرقص صلاة" !!

وقد نجم عن هذين الطوفانين المنهمريْن على الأمة إفسادًا وتخذيلاً، أن صار الدين غريباً كأشد ما يكون غربةً في حياة الناس، وصار الذي يقول: ﴿**تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ**﴾ (النساء/ ٦٠).يبدو وكأنه مجنون يخاطب أسوياء، أو كأنه سوي يخاطب مجانين، وهو في كلتا الحالتين: غريب !!

ولم يقف المستعمر الراحل عند حدود الإعلام والتعليم، وإن كان بهما أشدَّ عنايةً مما سواهما، بل اصطنع له عملاء يفسدون في الاقتصاد والقانون والاجتماع والآثار والتاريخ والسياسة، فصارت مناحي الحياة كافة تعزف نغماً واحداً هو: الولع بالغرب واتخاذه أسوةً بكل ما فيه من خير وشر.

ووقف علماء المسلمين مما يجري موقف الحائر المحنَق المغيظ، وانقسموا إلى ثلاث فرق: فرقة أراحت نفسها بموقف الرفض التام للعصر وكل ما فيه من منكرات مستحدثة، وغرقت في تراثها فاكتفتْ به. وفرقة قلبت ظهر المجنّ لدينها وتراثها وادَّعت التحضرَّ فطوعت النصوص والأحكام لتوافق هوي المستعمرين وأذنابهم فوصفت بالاستنارة، على حين وصفت سابقتها بالجمود والتحجر، وفرقة أرادت التوسط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقالت: نأخذ وندع، ونقبل ونرفض. وظلت تكرر ذلك دون أن تــبين للنـــاس مــا يأخذون وما يتركون، فكان لها من حسن النية ستار غطىَّ عجزهـــا وقصـــورها. وإذا أردنا على ذلك دليلاً فلننظر في تراثنا العلمي المعاصر مما ندرِّسه في جامعاتنا، أليس كله ذا أصول غربية مادية؟ وهل قامت نظريات علم النفس التي يدرسها طلابنا في معاهـــد وكليات التربية على شيء من تراث العرب والمربين المسلمين؟ أم تقوم جميعـــاً علـــى تجارب أجراها علماء الغرب على الكلاب والقطط والفئران والخيل والحمير والبغـــال، ومنها خرجوا بنظريات التعلم التي يراد لنا أن نطبقها على متعلمي المسلمين؟ وهل نجد للاقتصاد المعاصر جذورًا إسلامية تدرس في جامعاتنا؟ أم نجد له جذورًا فيما قـــال بـــه "ماركس" من صراع طبقي؟ وما قال به "مالتوس" من خرافات سكانية؟ وهل يـــدرس طلاب جامعاتنا في الاجتماع إلا ما قال به دوركايم، وماكس فيبر، وســـان ســـيمون، وأحزابهم؟ وجميعهم من الماديين الذين يفسرون الظواهر الاجتماعية تفسيراً ماديا بحتًا؟

وما نراه في مجال التربية أشد سوءًا، فمازال طلابنا حين يدرسون تـــاريخ التربيـــة وفلسفتها يتوقفون كثيرًا أمام جان جاك روسو وكتابه (إميل) الذي اعترف فيـــه بـــأن راهب الكنيسة كان يغتصبه وهو طفل صغير ويعاشره معاشرة الزوجة !! أليس هذا هو رائد ما يسميه أساتذة جامعاتنا التربويون بالفلسفة الطبيعية؟

أقول قولي هذا، لأحل نفسي من الحديث عن "الواقع" فيما ورد في العنوان مـــن كلام عن أبعاد الشخصية الإسلامية المعاصرة: بين الواقع والمأمول، فما قدمته كـــاف لإبراز واقع الشخصية الإسلامية المعاصرة، ويمكن إجماله في كلام موجز خلاصـــته: أن هذه الشخصية المسلمة المعاصرة تعاني كثيراً من التغييب والتغريب. وقد أســـهمت في ذلك مؤسسات رسمية وغير رسمية فأنتجت على مدى ســـنوات طـــوال أنماطـــاً مـــن الشخصية تعاني من هشاشة الالتزام الخلقي، وضعف الانتمـــاء الـــديني، والإحبـــاط،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقهر، والشعور باليأس من النصر، والإحساس بالهوان والضياع في عصر يتسم بالقوة، وهي لا تملك من عناصر تلك القوة شيئاً تعتصم به. فما المخرج إذاً؟

إن المخرج من هذا الوضع يتمثل في رأيي أن نحاول التعرف على أبعاد شخصية المسلم كما رسمها القرآن الكريم لكي تكون تلك الأبعاد منهج حياة، تحاول كل المؤسسات — والأفراد — غرسه من جديد في نفوس الجيل القادم من أمة المسلمين، عسى أن يكون غدهم خيراً من أمسهم، وأن يكون مستقبلهم أشد إشراقا من حاضرهم.

أولاً: الطهارة:

"الطهارة" هي البعد المفقود في حياة المسلمين في عصرنا هذا، ولا يعنينا هنا أسباب ذلك، فقد أجملناها فيما سبق من عوامل سعت لإبعاد المسلم عن دينه. والطهارة إذا استشعر المسلم أنها سمة "لازمة" له رأي لها انعكاساً في كل لحظة من لحظات حياته. فكما أن الإسلام طالبه بتطهير الظاهر بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة/ ٦].

إن جعل التراب هنا بديلاً للماء في التطهير فيه معنى عجيب، ودلالة عظيمة أشار إليها قوله تعالى "ولكن يريد ليطهركم، أي أن التطهير إرادة إلهية. وما دام هذا شأنها فعلى المسلم أن يأتي بها كما أرادها له سبحانه وتعالى، على المسلم أن يأتي بها دون فلسفة أو إعمال فكر، ودون موازنة بين تراب وماء، فالتطهير إذاً له جانبان: جانب مادي ملموس، وجانب معنوي محسوس غير ملموس يتمثل في الطاعة. وقد اجتمع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجانبان في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر/ ٤، ٥] فجمع طهارة الثوب مع طهارة السلوك قولاً وعملاً.

أقول: كما أن الإسلام طالب المسلم بطهارة الظاهر ممثلة في: الختان والوضوء والاغتسال، والتيمم، وتطهر الثوب، واعتزال النساء في المحيض، والإتيان في موضع الحرث، وتحري طيبات الطعام والشراب؛ فإنه آمره كذلك بطهارة الباطن فنهاه عن الغيبة والنميمة وأكل أموال الناس بالباطل، والكذب، والنفاق، وإساءة استخدام السمع والبصر واليدين والرجلين واللسان، كما نهاه عن البخل وتحبيذ البخل، وإثارة الفتنة، وغير ذلك من مصادر التلوث النفسي.

كل ذلك يمكن أن يتحول إلى سلوك يومي في حياة المسلم حين يعاهد ربه ويعاهد نفسه أن يعيش طاهراً بمعنى الكلمة، فيتمثل ضدها وهو "النجاسة"، وكما يبتعد بأقدامه في أثناء سيرة عن كل نجاسة حتى لا تلوث ملابسه، فليحتط لنفسه قبل أن ينجرف في حوار أو حديث مع أحد وليسأل نفسه: هل هذا حديث طاهر أم نجس؟ وحين يهم بكلمة أو نصيحة أو جواب سؤال... إلخ، فليكن شعاره دائماً: لأعشْ طاهرًا في كل لحظة، حينذاك يشعر أنه في معية الله تعالى دائماً، وأن الله تعالى ظهيره ونصيره لأنه يطهر نفسه أولاً بأول ولحكمة ما، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢]، ولم يقل "الطاهرين" لأن القرآن نزل عربياً بلغة دقيقة حساسة؛ فكلمة "متطهّر" على وزن "متفعِّل" فيها معنى المشقة والمكابدة والمحاولة المستمرة من الإنسان أن يكون طاهراً. فالمتطهر هو التوّاب الذي يقوم كلما وقع، ويستغفر كلما أخطأ.

فإذا فعل الإنسان هذا، وعاش بشعار (لأكنْ طاهرًا متطهرًا) كان ذلك خير تحقيق لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف/ ٤٣].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: الاعتدال:

البعد الثاني في شخصية المسلم ينبغي أن يكون "الاعتدال" أو "التوسط بين أيٍّ متناقضيْن. فالمسلم ينتمي إلى أمةٍ جعلها الله تعالى أمةً وسطًا، أي أمة معتدلة التوجه، مستقيمة السلوك، لا تغلو في دينها ولا ترفع منزلة أحدٍ أو تخفضُها دون سببٍ من دينٍ أو تشريع.

ومن هنا توالتْ أوامر القرآن الكريم بالاعتدال:

- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا..﴾ [الأعراف/ ٣١].
- ﴿لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا...﴾ [المائدة/ ٨٧].
- ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [القصص/ ٧٧].
- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل/ ١٢٥].
- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قواما والذين إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان/ ٦٧].
- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى..﴾ [البقرة/ ٢٦٣].
- ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٤].
- ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً..﴾ [الإسراء/ ١١٠].

وإذا قلنا إن "الاعتدال" أو "التوسط" سمة ملازمة للشخصية المسلمة فلا ينبغي أن تتحول هذه السمة إلى شيء آخر كالإمَّعية أو ذوبان الشخصية بدعوى المرونة حيناً، وبدعوى المحافظة حيناً آخر، بل يجب أن يكون للاعتدال مفهوم واضح محدد الملامح،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وله جوانب تفصله عن غيره من مفاهيم التبعية أو الاندماج أو التسامح أو ما شابه ذلك. فالاعتدال الذي نعنيه يُقصد به:

(أ) التوسط في الإنفاق بين التقتير والتبذير.

(ب) التوسط في العبادة بين الغلو والتفريط.

(ج) التوسط في التفكير فيما شجر بين السلف من خلافات. فلا يكفّر المسلم مسلماً أفضى إلى ما قدَّم، وإنما يكون شأنه مع هؤلاء وأولئك ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

(د) إنصاف أهل الحق أينما كان موقعهم: أعداءً كانوا أو أصدقاء عملاً بقوله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة/ ٨، ٩].

(هـ) أن يلازم المسلم قول الحق في كل حال، شاهداً، وبائعاً، ومشترياً، ومعلناً، وسمسارًا، فلزوم الحق عليه مدار المعاملات بين المسلمين، ولو تعود المسلمون اتخاذ الأيمان ذريعة للتحايل، لوقع الناس في شرٍّ عظيم وفتنة كبرى. فما نراه الآن من فساد الذمم، واستحلال أموال الناس بالباطل عن طريق ظلم الإناث في الميراث، والتعامل بالشيكات، والكذب فيها، والغش التجاري في الإنتاج وفي الإعلانات... كل ذلك مسموح لغيبة مفهوم "الاعتدال" من حياة المسلمين.

(و) التيسير في المهور، حرصاً على إعفاف الشباب المسلم، فالمغالاة في طلب الشقق وفي تأثيثها وفي المهور، تصعِّب الزواج على الشباب، فينصرف بعضهم إلى الحرام، أو يفتن في دينه، والذكور والإناث في هذا الأمر سواء بسواء. ولو توسم المسلمون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتدال ليسَّروا أمور الزواج، ولشاعت مفاهيم المودة والرحمة والسَّكن بين الأسر التي تبني دعائمها على تقدير ظروف الطرف الأضعف.

(ز) ومن جوانب الاعتدال أيضاً ألاّ يغرق القادرون من المسلمين في ملاذ الحياة ومتعها وينسون الملايين التي لا تجد لقمة العيش إلا بشق الأنفس.

(ح) ومما يدخل في هذا الجانب أيضاً، ألا يترك الآباء أبناءهم يحاربون وحدهم أوقات فراغهم. بل يجب على الآباء أن يرشدوا أبناءهم إلى حقيقة أن المسلم لا ينبغي له أن يشكو مما يشكو منه الغرب من مشكلة "وقت الفراغ" فوقت المسلم يحاسب عليه أمام ربه فلابد له من العمل الجاد، أو السعي للعمل، أو الاستمتاع الحلال، أو التنفل أو الذكر أو ما إلى ذلك مما يجعل كل دقيقة في عمره ذات ثمرة.

ثالثاً: التوبة وتجديدها:

من أهم الأبعاد التي تحدد شخصية المسلم وتمنح هذه الشخصية تميزًا ملحوظًا: "التوبة" بوصفها علاجاً إلهيًّا لمظاهر انحراف السلوك الإنساني. وإذا كانت الشخصية الإسلامية المعاصرة تعاني من القلق والتوتر والاكتئاب والإحباط فمرجع ذلك – دون ريب – هو غياب هذا البعد المهم من أبعاد الشخصية، ذلك أن الإنسان بحكم طبيعته خطّاء، فإذا لم يدرك حقيقة التوبة ويجعلها منهج حياة فإنه سيعاني من وخز الضمير، وتأنيب الذات، ولوم النفس، وبتزايد هذه المشاعر، ينشأ الإحباط، ويستشري التشاؤم ويرتفع الإحساس بالإثم والمخالفة. والمسلم المتفقه في دينه، المتدبر لكتاب الله، يلحظ أن وراء الآيات المنذرة بالعقاب، تأتي غالباً آيات الاستثناء لمن يتوب. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(١٤٥)إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا..**﴾ [النساء/ ١٤٥، ١٤٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل إن الله تعالى ادخر للتائبين أجرًا عظيماً، وإكراماً كبيرًا، وذلك حين وعدهم بتبديل سيئاتهم حسنات. فقد ذكر سبحانه أنواعاً من الذنوب وتوعد عليها بمضاعفة العذاب في نار جهنم والخلود فيه، ثم استثنى التائبين فقال تعالى:﴿... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا(٦٨)يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(٦٩)إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

ومما يؤسف له أن هناك أنواعاً من الكتابات تشيع بين المسلمين في العصر الحاضر، ذات أهداف نبيلة في التنفير من الذنوب والدعوة إلى الصلاح، ولكن منهجها في التضخيم والمبالغة يزرع في النفوس الشك في قبول التوبة، ويرفع كل صغيرة إلى كبيرة مما يوئيس المذنبين ويحبطهم، وهذا عكس مقصود الشارع الذي يأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة لا الغلظة، وبالتبشير لا التنفير.

وإذا كان تجديد التوبة نوعاً من التطهر المستمر، فإنه من خلال آلياته المعروفة وأهمها الاستغفار، مجلبة للرضا النفسي، ولسعة الرزق، كما شهدت بذلك آيات القرآن الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠)يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(١١)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح/ ١٠-١٢]. وكذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود/ ٣].

والتوبة مأوى حصين يلجأ إليه الإنسان إذا أخطأ فرارًا من قسوة وخز الضمير، حتى لا يتحول هذا الوخز إلى طاقة تدميرية تفتك بصاحبها. كما أنه ملجأ يهرع إليه الإنسان من مكر الشيطان، الذي يتربص به آناء الليل وأطراف النهار. والتوبة تكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الصغائر والكبائر معاً، ولا يجوز لعالم أو كاتب أو خطيب أن يضيف إلى شرع الله ما يوافق هوى نفسه، فيجعل الصغيرة كبيرة أو العكس بغير دليلٍ شرعيّ صحيح. فقد جعل الله تعالى مجرد اجتناب الكبائر سببًا كافياً لتكفير الصغائر، وذلك لما يلزم لاجتناب الكبائر من عظيم المكابدة مع الشيطان والنفس.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه المجيد قصص قوم من التائبين كآدم عليه السلام ونوح عليه السلام وغيرهما من الأنبياء، والثلاثة الذين خُلِّفوا وغيرهم، ليكون في هذا القصص دافع لمن فترت عزائمهم، وخارت إرادتهم، حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتوبوا إلى ربهم.

ويا ليت الوعاظ والخطباء والمربين والعلماء يتركون التنفير والتشديد والتخويف، ويستبدلوا بذلك كله، أنواعاً من قصص التائبين كما وردت في القرآن الكريم، وما صحّ منها في السنة كحديث أبي هريرة المتفق عليه عمن قتل تسعة وتسعين نفساً من بنى إسرائيل ثم أراد أن يتوب، فإن هذا القصص يفعل فعل الدواء الناجع في النفوس الحائرة والقلوب الحائرة، يثبتها ويقوى عزمها، ويجدد إيمانها ويمنحها الطاقة لاستئناف مسيرتها الإيمانية.

وينعكس أثر هذا البعد في شخصية المسلم في سلوكه تجاه أبنائه وأهل بيته وجيرانه وأقاربه وزملائه، فيكون رفيقاً بهم، صفوحاً عن زلاتهم إذا اعترفوا بها، كاظماً لغيظه، حليماً، لأنه كما يطلب من الله المغفرة لنفسه، عليه أن يقبل عذر من يعتذر إليه ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾ [هود/ ٣]

رابعًا: الإيجابية:

الصفة الأهم في تمييز شخصية المسلم من غيرها هي الإيجابية، فالمسلم الحق إيجابي بطبعه، لا ينتظر ثواباً ولا عقاباً يحفز سلوكه إلا من خالقه تبارك وتعالى، أما غير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين فغالباً ما تكون دوافع سلوكهم نابعةً إما من حاجات بيولوجية، أو استجابة لتشريعات بشرية يخضعون لها. ومن ثم فإن حركتهم في الحياة تبدو كأنها "آلية" لا روح فيها، ولا إقدام فيها على خير، ولا إحجام فيها عن شر إلا بمقدار ما يكون وراء ذلك من منفعة أو دفع مضرة.

وقد قلّد أكثر المسلمين في عصرنا هذا غيرهم، فركنوا إلى الراحة، وآثروا سلامة الأبدان والأنفس والأموال، وانغمسوا في الملذات، فإنماعت شخصياتهم، وضاعت قيمة "الإيجابية" من ملامحهم مع الأسف الشديد، وهى القيمة التي لولاها لما حقق أسلافهم ما حققوا من رقي وإبداع وإصلاح وفتوح.

و"إيثار السلامة" بوصفه نقيضًا للإيجابية يورث النفس خمولاً وكسلاً وخورًا وجبناً. ومن مظاهر ذلك:

١. ترك الجهاد وتخذيل المجاهدين في سبيل الله.
٢. كنز الأموال.
٣. التمتع بالملذات.
٤. القعود عن نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.
٥. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٦. كتمان العلم النافع.
٧. الاعتماد على الدولة.
٨. ترك السعي في الأرض لطلب الرزق.

ونظرة إلى حادث سيارة يصاب فيه أحد المشاة، فيظل يترف على مرأى ومسمع من الكثيرين، وما نشر عن حوادث اغتصاب وهتك عرض علني في الأماكن العامة، وغير ذلك يدلك دلالة صريحة على غياب "الإيجابية" من حياة أكثر الناس، أو غياب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"المروءة" و "الشهامة" بوصفهما من جوانب الإيجابية. وقد نعى القرآن الكريم على فئات من الناس خلدت إلى الراحة ورأت في الحركة سبيلاً للأذى ومن هذه الفئات:

(أ) المتقاعسون عن الجهاد: إن الجهاد في سبيل الله هو السبيل الوحيد لنصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، وقد تقاعس قوم عن الجهاد فسجَّل القرآن الكريم مواقفهم مقرونة بلومهم وتوبيخهم فقال تعالى:

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة/ ١٦].
- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٩)الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)﴾ [التوبة/ ١٩، ٢٠].
- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ؟..﴾ [التوبة/ ٣٨].
- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة/ ٤٢].
- ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة/ ٤٦].

(ب) الذين يكتمون العلم: وهم فئة من الناس رزقها الله تعالى بعلم نافع، ولكنهم تقاعسوا عن نشره، أو كتموا ما علموا من الحق، ففتحوا بذلك بابًا للجهال لكي يتصدوا لتعليم الناس وتثقيفهم، وهم في الحقيقة يزيِّفون ويزوِّرون ويضلِّلون — عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قصد حيناً وعن غير قصد حيناً – وتفتح لهم وسائل الإعلام نوافذها فيُفتن الناس بكلامهم المنمق وحديثهم المزوَّق، وأولئك هم الأئمة المضلون الذين حذَّر منهم رسول الله صلى الله ﷺ. ويحدث هذا، ونحن نرى طوائف من أهل العلم الفضلاء يقعدون عن نشر ما عندهم إيثارًا للسلامة، وتجنباً للفتنة، وقد ذمَّ القرآن الكريم من يفعل ذلك فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ(١٥٩)إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ..﴾ [آل عمران/ ١٨٧].

(ج) القاعدون عن السعي: من جهل بعض الناس بثواب السعي والضرب في الأرض، يظن بعضهم أن هذا عمل دنيوي بحت، في حين أنه مطلب شرعي، حثت عليه الشريعة الإسلامية الغراء. وقد سمي القرآن الكريم من يفعل ذلك تسمية توبيخ بأنهم ظالمون لأنفسهم وأولئك الناس ستتوفاهم الملائكة وهي توبخهم: فيم كنتم؟ و لم رضيتم بهذا القعود الذليل عن طلب العيش الكريم والرزق الحلال؟ فيجيبون بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض !! مع أن أرض الله واسعة وقد أمروا أن يهاجروا فيها ويبتغوا من رزق الله، وألا يركنوا إلى الراحة والاعتذار بأنهم مستضعفون. فقد سخَّر الله تعالى لهم الأرض ليستعمروها، والبحار ليجوبوها ويستخرجوا منها لحمًا طريًّا وحلية يلبسونها، وسخّر لهم الخيل والبغال والحمير وغيرها من الحيوانات لينتفعوا بها قدر ما يتاح لهم الانتفاع. لأن المسلم الحق إيجابي لا يعرف للسكون فائدة، ويرى في الحركة تنفيذًا للمشيئة الإلهية ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام/ ١٦٢) فكيف يرض المسلم حياة رخيصة ذليلة ساكنة.

وإذا كانت قوانين البشر قد صعَّبت أمر حركة الناس من بلد إلى بلد، فما تزال في البلد الواحد آفاق من الرزق مفتوحة، وفرص للعمل متاحة، كل ما في الأمر أن الناس قد آثروا الراحة، واستمرأوا السكون، وألفوا الدعة، وعوَّدوا حواسَّهم الكسل، فلا العقول تعمل، ولا الحواس تتحرك، إلا في نطاق حركة يومية مكررة تخلو من الحافز وتستريح إلى الاسترخاء والخمول والرضا بالقليل. وقد نعى القرآن الكريم على طائفة من البشر هذا حالها، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧١] وما أكثر آيات القرآن التي تأمر المسلمين أن يسيروا في الأرض وأن يبتغوا عند الله الرزق. ولكن أنى لهم ذلك وأمامهم الشاشات البيضاء تكبلهم أمامها ليل نهار فكأنهم معوَّقون لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً؟!!

(د) الذين يكترون أموالهم: تكره الشريعة الإسلامية الغراء كتر الأموال، وترى فيه جريمة اجتماعية كبرى وتتوعد صاحبها بالعذاب الأليم يوم القيامة، فيقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ(٣٥)﴾ [التوبة/ ٣٤، ٣٥] وذلك لأن الإنسان إذا استهواه جمع المال وتكديسه، فرط في مبادئه ودينه وقيمه، وصار كالحيوان الذي يأكل ولا يعرف حدًا للشبع، فكتر الأموال غاية السلبية، ومنتهى الانغلاق على الذات، ولا تقدم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه نفوس المؤمنين لأنها نفوس مطهَّرة بحب الإنفاق في وجوه الخير، والذي ينفق ماله ثاني اثنين مغبوطين بعد صاحب العلم الذي ينشر عمله لينتفع به الناس.

(هـ) الاعتماد على الدولة: منذ تفككت عرى ارتباط المسلم بدينه مع تعقد الحياة الحديثة، ومنذ أنشئت "الدولة" كنظام مؤسسي يسير حياة الناس، استبدل كثير من الناس بمفهوم "التوكل على الله" (الاتكال على الدولة) فأصبح المسلم ينتظر من الدولة أن تطعمه وتسقيه وتكسوه وتشفيه وتعلمه وترفه عنه. وقد أدى هذا "التواكل، أو الاتكال" إلى اطراح مفهوم التوكل على الله واتخاذ أسباب الحياة والضرب في الأرض ومكابدة مرارة البحث عن الحلال. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أفهم: كيف يبقى خريج المدرسة المتوسطة أو الجامعة سنين طوالاً يمد يده إلى أسرته ويأخذ مصروفاً ينفقه على المقاهي في انتظار "الدولة" حتى تقبل عليه الوظيفة وهو ساه لاه لا يكد ولا يكدح؟ وفي المقابل أعرف عشرات من الشباب تركوا شهاداتهم وراء ظهورهم وسعوا في الأرض طلبًا للرزق من أي باب حلال، فأصابوا خيرًا كثيرًا بتوكلهم على الله وسعيهم.

خامسًا: إصلاح أحوال الأسرة المسلمة:

إن الأسرة المسلمة هي مناط التربية، ومؤسستها الأولى، وهي تتعرض في الواقع المعاصر إلى ضغوط رسمية وغير رسمية لا قبل لها بها. ويكفي أن نقرأ وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة الخاصة بالسكان والتنمية. وبخاصة مؤتمر القاهرة ١٩٩٤، ومؤتمر بكين ١٩٩٨، لنرى إلى أي حد تسعى المؤسسات الدولية إلى إشاعة الفواحش، وتحطيم كل القيم الإسلامية التي تستهدف تحصين الشخصية الإسلامية ضد الإنحلال والانحراف. والمأمول أن يسعى المسلمون إلى إصلاح أحوال الأسرة، ويحوطوها بالرعاية والعناية المركزة ضد الهجمات التي تتستر بالتمدين والتحضر، فتعود القوامة للرجال، وتعود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للأمهات هيبة مسؤولياتهن التربوية. وتعود روح المودة لتسربل العلاقات بين الأخوة والأخوات، وتعود صلة الرحم فتلطّف جهامة الحياة المعاصرة وتخفف جفافها. ونظرة إلى آيات القرآن الكريم تفتح أمام المسلمين آفاق حقيقة العلاقات الأسرية كما أرادها الإسلام، ولنقرأ قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحرير/ ٦]. ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام/ ١٥١]

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق/ ٧]

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا(٣٤).." [النساء/ ٣٤].

وتبقى هناك أبعاد أخرى في الشخصية الإسلامية تجدر دراستها مثل:

- حسن استثمار الوقت.
- الوعي بالتاريخ.
- الولاء والبراء.
- أهمية التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها.

وكل تلك الأبعاد التسعة حريّة بأن يهتم بها الباحثون المسلمون، ويديموا تحليلها والنظر في أهميتها، كما أنها جديرة بأن تتخذ منها المنظمات والهيئات الإسلامية المعاصرة دساتير تستنهض بها الهمم لمواجهة الغزوات التبشيرية الجديدة المسماة بالعولمة.

كلمة أ.د/ عبد الرحمن النقيب

شكرا للأستاذ الدكتور مصطفى رجب، الذي عالج الموضوع كما توقعنا بالفعل بمداخل نفسية وتربوية، وكلا المعالجتين مهم وضروري. حيث أشار إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب التي شوهت الشخصية المسلمة المعاصرة، وركز على بعدي التعليم والإعلام، وأثر التعليم والإعلام على الشخصية وكلنا نتابع هذا الأمر، ثم بعد ذلك تحدث عن أبعاد الشخصية المسلمة كما ينبغي أن تكون، فهي شخصية تتصف بالطهارة المادية والروحية، تتصف بالاعتدال، تتصف بمداومة التوبة، تتصف بالإيجابية وما يلحق بها من مروءة وشهامة وسعي في طلب الرزق، أيضا الأسرة المسلمة المتماسكة، وحسن استثمار الوقت، والوعي بالتاريخ، والولاء والبراءة، وأهمية التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها، ولعلكم تتفقون معي أنه تناول الموضوع من وجهة نظر تربوية وليست نفسية، وكلاهما مفيد ومهم. والآن يفتح باب التعليقات والمناقشات من أجل إثراء الموضوع بإذن الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعقيبات والأسئلة

كلمة فضيلة الشيخ/ جمال قطب

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية نشكر مركز الدراسات المعرفية على استضافتنا، ثم نشكر أستاذنا المحاضر وبعد...، فلعله أجاد حينما شخص عاملي "التعليم والإعلام"، فأريد أن أضيف إليهما ما أتناوله دائما في خطبة الجمعة، الجنديان الفاعلان هما "التعليم والإعلام"، لكن المستعمر وهو يرحل ترك غفيراً نظامياً يحرس هذين أو هاتين الآفتين ألا وهو "أنظمة الحكم" تحميها من ناحية، مما جعل دعوات إسلامية تبحث عن الحق، تفني جهدها في ملاحقة الحاكم وليس في محاورة التعليم والإعلام، فإذا كان التعليم والإعلام هما الآفاتان الكبريان في تحطيم شخصية المسلم كان يليق بمدارس الدعوة كلها أن تتعامل معهما قبل أن تقتطع جهدها ومالها في مصارعة الغفير القائم على حراستهما.

كلمة الأستاذ/ سيف الشربيني

بسم الله الرحمن الرحيم

نشكر الدكتور مصطفى رجب على هذا الشرح وتحديد العلاج قبل سرد المشاكل. تحدثت عن التعليم والإعلام ويقول لنا من فعل هذا فهم مسلمون يصومون ويصلون، يشاركون في ضلال الإعلام والتعليم، سؤالي ألا يمكن إعادة وضعهم على الطريق القويم خدمة لأمة الإسلام؟ أما بالنسبة للمواجهة فكان يمكن أن تكون المواجهة أكثر فاعلية، ولكن حتى الذين عارضوا، عارضوا بغير ذكاء وفطنة، وكل هذا يقودنا إلى أن الله سبحانه وتعالى طلب منا البلاغ المبين، وأحاول ضرب أمثلة على أننا فقدنا التوجيه السليم على المواجهة والمقاومة فمثلاً تحدثت عن عيوب كثيرة مثل الكذب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والغش والإهمال، وأظن لو أننا نظرنا في تاريخنا لوجدنا أن قصورًا في أسلوب الدعوة نفسها هو السبب لمعظم هذه العيوب.

كلمة الأستاذ مهندس/ محمد بهير

بسم الله الرحمن الرحيم

تفضل الدكتور مشكورًا فذكر أن الآفاتين اللتين ضيعتا الشخصية الإسلامية هما التعليم والإعلام، واسمح لي أن أضيف أنني أعز وأجل العلماء ورجال الدين، إن رجال الدين أيضا ساهموا كثيراً في هذا الموضوع، وهم في الواقع قادرون على سد هذا الفراغ إذا حركوا ما ذكر في القرآن. وكما تعلمون أن الحال تغير، فالوضع في الماضي غير الوضع الحاضر من نواحيّ التكنولوجيا والتطور العلمي والتطور في كل المفاهيم، وكان يجب على رجال الدعوة أن يغيروا مفاهيمهم، مفاهيمهم في القرآن الكريم وفى تفسيره مع تطور الحياة المدنية، بالنسبة لفرص العمل حضراتكم تقولون أن الحكومة ليس لها ذنب، وأعتقد أن الحكومة ليس مطلوب منها أن تعين وتوظف، لكن الحكومة مطلوب منها أن تتيح فرص العمل. كيف تتيح فرص العمل ونحن الآن ننادي بإلغاء ٥٠% من مجال الحياة التي أقر بها الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى أمر بالحياة في مجالين داخل البيت وخارج البيت، تنمية الموارد البشرية تبدأ من البيت، من يقوم بالمهام الصعبة التي تقام بالبيت من؟ هل كلنا نخرج ونتصارع على الـ ٥٠% في مجال العمل، وأنا أعد أن البيت فرصة عمل، والمرأة كيف تقوم بإدارة المنزل ليست خادمة، وبذلك يصبح عندي ١٥ مليون أسرة أستطيع أن أعمل منهم ١٥مليون فرصة عمل بالمجان.

كلمة أ.د/ فاطمة إسماعيل – كلية البنات – جامعة عين شمس.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الواقع أريد أن أخرج من جزئيات الموضوع إلى ما هو أعم، أنا لا أعفى الأستاذ الدكتور مصطفى رجب من التعريفات بحكم أنه أكاديمي، لابد أن يعرف لنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العنوان. العنوان كما وصلني "أبعاد الشخصية الإسلامية المعاصرة"، وأنا أعترض أولا على كلمة المعاصرة؛ لأن الشخصية الإسلامية المعاصرة لابد أن تواجه العصر، لابد أن تعيش مشكلات العصر الحية، نحن إذا أردنا أن نتحدث عن الشخصية الإسلامية الراهنة "الواقع والمأمول"، بمعنى أن الواقع كله سلب والمأمول كله إيجاب، وهذا كان حديث الأستاذ الدكتور مصطفى رجب، إذن اعتراضي على المعاصرة باعتبار أن المعاصرة هي المأمول بمعنى أن يواجه العصر، إذن كيف نواجه العصر؛ لابد أن نواجه العصر بشخصية إسلامية تتميز بمميزات قادرة على مواجهة التحديات العصرية، ولابد أن نكون أمام جزءين: أحدهما عبارة عن تصور لما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الإسلامية، والجزء الآخر: المجابهة أو مواجهة تحديات العصر، ما هي تحديات العصر، وكيف نواجهها؟ هذه هي الأسئلة التي يجب أن تطرح، أنا شعرت والأستاذ الدكتور مصطفى رجب يتحدث عن الشخصية الإسلامية وكأنها في جزيرة معزولة تماماً عن العصر وعن الواقع وعن مشكلات الواقع، وهو يتحدث عن الاعتدال والتوبة وعن الطهارة وكل هذه الأشياء التي ذكرها كأن الإنسان المسلم يعيش في جزيرة معزولة لا علاقة له لا بمشكلات الواقع، ولا بتحديات العصر ولا لما يحدث حوله هذه نقطة.

وحينما تحدث عن النقطة التي كان يمكن أن يفسرها بإيجابية، الإيجابية تحمل معنى مواجهة العصر كيف نتجاوب مع العصر ومشكلاته، وحينما نتحدث عن النقطة الخاصة بمنهج الحياة لابد أن نرى بأي منهج نعيش مشكلات الحياة المعاصرة، وحينما نتحدث عن النقطة التي قفز عليها قفزاً سريعاً جداً وهي الوعي بالتاريخ، الأمم السابقة، لماذا قفز على هذه النقطة هذا القفز السريع دون ذاك، كنت أتصور أن هذه القضية هي في جذورها قضية العلاقة بين الأصالة والمعاصرة، وهي قضية لمسها جميع زعماء التغيير والإصلاح بدءًا من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده، الأفغاني، حتى زكي نجيب محمود وصولاً إلى مفترق الطرق للدكتور حسين كامل بهاء الدين. فقد وضع هؤلاء تصورات،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن ذلك ليست القضية فيما وضع من تصورات، إنما القضية في كيفية تحقيق هذه التصورات في أرض الواقع.

كلمة أ/ رجب الباسل (صحفي وباحث)

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت أتساءل عن مدى أهمية الأسرة النواة أو الاستقلالية في المعيشة في تكوين الشخصية المسلمة.

كلمة الأستاذة الدكتورة/ كريمة أبو حشيش

لي سؤال قد يخرج عن الموضوع، حيث لفت نظري في حديث الدكتور مصطفى رجب ما يتعلق بشروط الرضاعة الطبيعية، ربما كانت هذه أول مرة أسمع عن هذا الموضوع، لذلك أرجو من سيادتكم توضيحه.

كلمة الأستاذة/ عزة عمر (كلية البنات)

تحدثتم سيادتكم عن التعليم وعن الإعلام. والإعلام يمس قضية هامة من القضايا العقائدية والقضايا الإسلامية مثل: ارتداء المرأة للحجاب، كيف لكاتبة جاهلة بما شرع الله سبحانه وتعالى، تنشر كتابًا بعنوان "الحجاب رؤية معاصرة"، مدعية فيه أن الحجاب ليس فريضة إسلامية، عارضة ذلك الرأي في القنوات الفضائية، ثم تدعي أنها لم تتناول الموضوع من جانب إسلامي، وعندما يستضيفونها في الجامعات تقول: احضروا لي نصًا أو حديثًا يثبت فيه أن الحجاب فريضة إسلامية، ما ردكم على هذا؟

كلمة الأستاذ/ أحمد سعد (باحث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية)

لدي ثلاث نقاط الأولى: ذكرتم سيادتكم أن المغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب، ولقد حدث عكس ذلك مرة واحدة في التاريخ، وهى عندما انتصر التتار على المسلمين زمن الخلافة العباسية رجعوا يحملون الثقافة الإسلامية، ويحملون الدين الإسلامي. النقطة الثانية: ذكرتم سيادتكم أننا نقلد الغرب لأننا هزمنا هزيمة عسكرية، وأود أن أضيف أننا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقلد الغرب قبل أن نهزم الهزيمة العسكرية، هزمنا هزيمة حضارية، وهي أشد تأثير في النفس من الهزيمة العسكرية. النقطة الأخيرة: ذكرتم سيادتكم أنه هناك معاناة في الجهود المبذولة لأسلمة العلوم، ما سبب هذه المعاناة؟ هل هو غياب الإرادة الحقيقة من القادة والساسة؟

رد الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب على التعقيبات:

شكرا لحضراتكم، وقد سعدت لهذه التعقيبات والتساؤلات التي أثرتموها، وسأحاول فيما يلي بمشيئة أن أعلق على هذه التعقيبات، وأن أجيب عن هذه التساؤلات:

أما بالنسبة لموضوع المحاضرة فكنت حريصًا كل الحرص عند إعدادها أن تكون مجرد خواطر إنسان مسلم يعاني كما يعاني كل المسلمين و لم أرد أن تكون بحثاً، وأكثر تعليق أثارني هو تعليق الأستاذة الدكتورة فاطمة إسماعيل التي قالت أنها لا تعفي المحاضر من الدخول في التعريفات، لست متخصصًا في علم النفس، ولا أحب الذين يبدأون أنفسهم بأبعاد الشخصية المعاصرة، فالتعريفات متاحة في مجال علم النفس وفى مجال علم الاجتماع، ولا أحب أن اقتحم في هذا المجال.

وأنا مع السائلة في تحفظها على كلمة معاصرة، لكن من منطلق غير منطلقها، فأنت تتحفظين عليها لأنك تريدين أن تكون هنا، وأنا أتحفظ عليها بسبب لغوى، ففي اللغة لا يوجد ما يسمى معاصرة، في اللغة اسمها عصرية، أي الشخصية العصرية من ناحية اللغة. وآسف لأني لم ولن ولا أريد أن أبدأ أي محاضرة أو مقالة أو بحث بالدخول فيه، ويكفي أن أقول في بداية البحث، أحدد مصطلحات، أصف الشخصية كذا، وهذا يكفي دون أن أذكر جهود السابقين والدخول في المقارنة والموازنة في التعريفات المختلفة، وهذا علم لا ينفع وجهل لا يضر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة لسؤال الأستاذ سيف الشربيني تكلم عن أين المواجهة فيما يقوم بـه التعليم والإعلام؟ ولماذا لا توجد مواجهة؟ حقيقية توجد مواجهات، ولكـن الإعـلام الإسلامي ضعيف إلى جانب آلة الإعلام المادي العلماني الضخم، فالمواجهة موجودة لكن أسلحة الإعلام الإسلامي غير كافية. أما سؤاله أين دور رجال الدين، فقد تحدثت عـن الإعلام والتعليم باعتبارهما أسلحة استعمارية، ولكن إذا كان هناك قصور من علماء الدين والفقهاء، فهو قصور زائل لكنه ليس موجه لصالح مستعمر. وقد أشـرت إلى أن هنـاك كتابات إسلامية معوقة، وهناك خطباء معوقون ولكن هم قلة، ولـذلك لا أسـتطيع أن أضعهم في مصاف الإعلام والتعليم، وهما الآلتان الضـخمتان الموجهتـان المرخصـتان المكرستان للقضاء على الإسلام ومحاربته، وإذا حدثت أخطاء من كاتب أو من خطيـب غير واع، فهذا عفو خاطر وليس موجه للإسلام.

الأستاذ رجب الباسل سأل عن الأسرة الممتدة والأسرة النواة، فقد أشرت إلى أن هذه تقسيمات، لكن لأني لا أتحدث عن المسلمين في جزيرة معزولة، أتحدث عن مسـلم يعاني في مجتمع يعاني، فاللجوء إلى مسكن مستقل الآن أصبح ضرورة مـن ضـرورات العصر، نتيجة أن كل من حولك في فتن مستمرة، فإلى أن تتكون أسر نواة مسلمة، تتكون بعد ذلك أسر ممتدة مسلمة، لكن لا تستطيع الآن أن تكون أسرة مسلمة متزنة في إطـار أسرة يفترض أنها مسلمة لكنها غير ملتزمة.

الأستاذة الدكتورة كريمة أبو حشيش سألت عن شـروط الرضـاعة، وهـذه الشروط باختصار شديد هي: أن تبدأ الأم بذكر الله وهذا غير موجود، أن تجوع الطفل قبل أن ترضعه حتى يبكى بكاء يسيرًا، وأن تحنن صدرها بيدها قبل أن تدر، وأن تـنظم أوقات الرضاعة كثير من هذه الشروط يتفق مع مبادئ الطب الحديث، وقد ذكرت هذا كنوع من سعة أفق الطب الإسلامي، وشموله لكل جوانب الحياة، فكـم مـن أم الآن تتحدث مع ابنتها حينما بلغت الحلم، وتعلمها كيف تتطهر؟ كم أم تتحدث مع ابنـها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذكر؟ لو أتيح لنا قدر من الثقافة الإسلامية كآباء وأمهات فنحن نحصن أبناءنا ضد ما يراد تدريسه لهم تحت مسمى الثقافة الجنسية، ومن منطلقات غير إسلامية.

سألت الأخت عزة عمر عن الحجاب هل هو فريضة إسلامية؟ وسألت عن كاتبة كتبت كتابًا ودعيت إلى الجامعة وتريد دليلاً على أن الحجاب من الإسلام. أقول: إن هذه الكاتبة لا تعرف شيئاً عن القرآن، أو الحديث، أو المعاجم، وهي حينما قالت هذا تظن أن الطالبات اللواتي يسمعونها جاهلات بدينهم فاستقوت عليهن مدعية أنها تحدثهن من منطلق ديني، وفي التليفزيون تقول أنا أتحدث من منطلق اجتماعي، لأنها لا تجد أحدًا يعقب عليها.

الأخ أحمد سعد الباحث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تساءل عن معوقات أسلمة العلوم الذي تحدث عنه الأستاذ عبد الغني عبود في تقييمه لما كتب في مجال التربية الإسلامية كمثال لأسلمة العلوم موجود في كتابه "التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري"، وخلاصته أن البحث في التربية الإسلامية بدأ فردياً، و لم توضع له خطة، وعند إلقاء سؤالك وضعت المفصل على المفصل لأن الأساس في عرقلة كل جهود أسلمة العلوم انعدام الدراية بالفعل، انعدام الدراية السياسية وليس انعدام الدراية أمام العلماء والقادرين على أسلمة هذه العلوم، لو أن الدولة أخذت بجدية تعريب أسماء المحال التجارية كما أخذت بجدية موضوع الحزام في السيارات، لعربت كل أسماء المحلات كلها بين يوم وليلة، لكن الحزام سيدر أموالا، أما تعريب أسماء المحلات فلا يدر شيء، وتعريب اللغة والحفاظ عليها سيضر البلاد ويقطع المعونات.

وشكرا جزيلا لحضراتكم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ.د. عبد الرحمن النقيب

الشكر كل الشكر لسيادة العميد السابق/ مصطفى رجب

ولاشك أننا استمتعنا بمحاضرة قيمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والله من وراء القصد،،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدولية
للطباعة
٧١٦٥٤٠٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com